



أوراق في التنمية الاقتصادية

د. فؤاد مرسي*: جوهر النمو الاقتصادي التاريخي

تقديم فاروق يونس**

كنت أبحث في مكتبتي عن كتاب فوق نظري على كتاب الدكتور فؤاد مرسي المفهوم المادي للتنمية الاقتصادية¹ فتصفحته ووجدت أن الكتاب يضم مادة غنية ذات قيمة تاريخية تستحق النشر خاصة وأن الكتاب صدر قبل أزيد من أربعة عقود. النص أدناه يضم مقتطفات اخترتها من القسم الأول من الكتاب تحت عنوان: جوهر النمو الاقتصادي التاريخي. فصول الكتاب تضم:

الفهرست

تقديم

مدخل

القسم الأول - جوهر النمو الاقتصادي التاريخي

القسم الثاني - جوهر التخلف الاقتصادي المعاصر

القسم الثالث - استراتيجيات التنمية الاقتصادية

الخاتمة

المراجع

قبل عرض المقتطفات اقتبس أولاً بعض ما كتبه الدكتور فؤاد مرسي في تقديمه للكتاب فيما يخص الجزء الأول منه؛ وثانياً، إثارة السؤال حول آليات السوق وتحقيق التنمية:

أولاً، تقديم الدكتور فؤاد مرسي للكتاب:

"ان كل ما هو مطروح على البلدان المتخلفة بل كل ما تستطيع عمله هو ان تسعى للنمو المعجل اي ان تسعى لتكثيف النمو في فترة زمنية مختصرة وهذا معنى قولنا انها تواجه مهام انجاز جوهر عملية النمو الرأسمالي التاريخية من غير ان تلتزم تاريخياً بانتهاج

¹د. فؤاد مرسي، المفهوم المادي للتنمية الاقتصادية (بغداد: دار الثورة للصحافة والنشر، إصدار النفط والتنمية، 1977). يقع الكتاب في 118 صفحة. طبع في مطبعة الاديب البغدادية.



أوراق في التنمية الاقتصادية

الطريق الرأسمالي التاريخية ما زال حتى الان هو جوهر عملية التنمية الاقتصادية المعاصرة فهذا الجوهر هو ما ينبغي ان تحققه التنمية دائما قديما وحديثا بغض النظر عن الطريق الذي تسلكه التنمية - لم تكن المسألة في التطبيق بهذه البساطة دائما.

فما هو هذا الجوهر؟

لقد قلنا من قبل ان عملية زيادة انتاجية العمل البشري وانعكاساتها على اسلوب استخدام وتوزيع الناتج الاجتماعي هو جوهر عملية التقدم الذي احرزته المجتمعات البشرية ففيها يكمن النمو ولقد جرى النمو الرأسمالي بدوره على هذا النحو أيضا.

فكيف يتمثل جوهر النمو الرأسمالي؟ انه يتمثل بالتحديد في عملية زيادة انتاجية العمل البشري زيادة لم تعرفها البشرية كلها من قبل ولقد تم هذا النمو بفضل اضطراد التقسيم الاجتماعي للعمل مما اتاح تنمية غير مسبوقه للقوى المنتجة وفي مقدمتها راس المال وبالطبع تمت تنمية القوى المنتجة في إطار علاقات انتاجية معينة اتخذت طابع الرأسمالية لكنها هنا بالدقة بتلك اللحظة التي تم فيها انتقال المجتمع من الاقطاع الى الرأسمالية وهي لحظة بالمعنى الفلسفي الذي يتضمن فترة انتقالية كاملة من التاريخ العام للبشرية.

فما هي العملية او العمليات الموضوعية التي نقلت المجتمعات تاريخيا من مرحلة الاقطاع الى مرحلة الرأسمالية هذا هو القسم الاول من هذه الدراسة."

ثانياً، آليات السوق وتحقيق التنمية

"السؤال هل تتكفل آليات السوق هذه بتحقيق التنمية فعلا؟

إن كاتباً مثل بول روزنشتاين رودان² Paul Narcyz Rosenstein-Rodan, [1902-1985] يرفض النظرية القائلة بأن الآليات الحرة الطليقة لقوى السوق يمكن أن تفضي إلى تعظيم الدخل القومي ليصبح هو الدخل القومي الأمثل فالتوازن بين الطلب الكلي والعرض الكلي أي التوازن النقدي الديناميكي لا يمكن تحقيقه بالاعتماد على

² للتعريف بالاقتصادي بول روزنشتاين رودان ونظريته حول الدفعة القوية Big Push Model في التنمية، راجع الموسوعة الحرة:

https://en.wikipedia.org/wiki/Paul_Rosenstein-Rodan

https://en.wikipedia.org/wiki/Big_push_model



أوراق في التنمية الاقتصادية

الاستجابات التلقائية للاقتصاد الحر وإنما يتحقق بسياسة مقصودة. إن الاتجاهات التلقائية لاقتصاد السوق لا تحقق توزيعاً أمثل للموارد في ميدانين بالذات هما الاستثمار والتوازن النقدي لكنها تصلح فقط على حد قوله في توزيع مخزون سلع الاستهلاك وعرضها المتدفق من المخازن." (ص 93 من الكتاب)

انا اقتطفت بعض الفقرات نصاً كما تقطف الأزهار كما هي بالأصل وقمت بتريقيم هذه الفقرات المقتبسة دون أي اضافة او تعليق لتسهيل القراءة.

فاروق يونس**

12 أيلول 2018

المقتطفات

١- فيم يتمثل النمو الاقتصادي الذي حققته الرأسمالية الناشئة بالنسبة للمجتمع الاقطاعي؟ انه يتمثل بالدقة في نمو راس المال بوصفه القوة المنتجة الغالبة ولا شك ان النمو الاقتصادي للقوى المنتجة هو قانون تطور المجتمع البشري لكن مثل هذا النمو تكبحه في العادة علاقات الانتاج القديمة التي تكون متخلفة بحكم طبيعتها المحافظة عن نمو القوى المنتجة وطبيعة العلاقات الانتاجية القائمة.

٢- في البلدان النامية - أعنى المتخلفة - تتمثل المشكلة بالفعل في هذه الدراسة - دراسة العلاقة بين نمو القوى المنتجة كما تتمثل في راس المال وبين طبيعة علاقات الانتاج التي تحدد دورها كلا من امكانيات تراكم راس المال ومجالات استخدامه.

٣- بالعمل ينتج الانسان ما لا يجده في الطبيعة جاهزا لإشباع حاجاته، هذا العمل هو جوهر عملية تجري فيما بين الانسان والطبيعة، عملية تبادل بينهما.

بالعمل يحول الطبيعة ومن ثم يحول نفسه فليس امام الانسان خلال عملية الانتاج الا ان يحذو حذو الطبيعة، انه يغير اشكال المادة التي تقدمها الطبيعة نفسها، ومن ثم ينحصر جوهر النشاط الانتاجي في كونه بذلاً لقوة العمل التي يجب ان تكون على قدر معين من التطور قبل ان يكون بالإمكان بذلها بأشكال متفاوتة ولذلك يبدا العمل ينقسم في المجتمع.



أوراق في التنمية الاقتصادية

في البداية في الاسرة ثم في القبيلة جرى تقسيم العمل بصورة تلقائية تبعاً لاختلاف الجنس والعمر وعندما انفصلت قبائل الرعاة عن مجتمع البرابرة حدث اول تقسيم اجتماعي كبير للعمل ولقد ادى هذا الى قيام الزراعة. وعندما انفصلت الحرفة عن الزراعة حدث التقسيم الثاني الكبير للعمل وانقسم المجتمع الى ريف وحضر وكان هذا اساساً لأول تبادل بين الزراعة والصناعة وأصبح الانتاج الاجتماعي ينقسم الى فروع الرئيسية.

٤- بعد ذلك اجتازت البشرية عتبة الحضارة بخطوة جديدة في تقسيم العمل هي نشأة التبادل في نطاق عدد قليل من المنتجات عند اتصال الجماعات بعضها ببعض وخلفت لأول مرة فئة التجار لا تتعاطى الانتاج وانما تتبادل المنتجات التي ينتجها الآخرون وظهرت الثروة لديها في صورة نقد.

٥- لم يلبث التبادل ان اقام علاقة بين ميادين الانتاج ليحولها الى فروع للإنتاج تتفاوت من حيث اعتماد كل منها على الآخر.

٦- ان انقسام المجتمع الى ريف وحضر وهو الاساس لكل تقسيم اجتماعي للعمل فيما بعد لم يلبث ان تطور بحيث أصبح التاريخ الاقتصادي للمجتمع بأسره يتلخص في التطور اللاحق لتقسيم العمل هذا بين الريف والحضر.

٧- وهكذا نشأت الحرف ومن بعدها الصناعة اليدوية وبالتالي بدأت الصناعة تتنوع وتتفرع الى تقسيمات خاصة بحيث تشكل داخل التقسيم العام للعمل ما يسمى بالتقسيم الخاص للعمل.

الصناعة اليدوية هي الشكل التقليدي للتعاون فيما بين أكثر من منتج على اساس تقسيم للعمل ولقد اصبحت الشكل السائد منذ حوالي القرن السادس عشر حتى منتصف القرن الثامن عشر.

٨- لقد ظهرت الصناعة اليدوية تاريخياً من خلال طريقتين: أ- من خلال تجمع عدد من الحرف بحيث تقوم كل حرفة منها بعملية جزئية مستقلة كما في صناعة العربات وهنا بدأ الحرفي يفقد قدرته في ممارسة حرفته في شمولها لكنه على العكس اخذ يكتسب مهارة أكثر في عمله الجزئي. ب- من خلال اتحاد عدد كبير من الحرفيين يقوم كل منهم بصنع الشيء نفسه في الورشة نفسها وهنا اخذت العمليات المختلفة التي يصنعها على التوالي صانع واحد تتحول بالتدريج الى عمليات منفصلة يصنعها عمال متعددون كما في صناعة الابرة او الدبوس.

٦- تشكلت آلية انتاجية معينة اجهزتها هم البشر؛ ما يزال العمل يحتفظ بطابعه الحرفي وما زالت الجزئية المعينة من صنع العمل اليدوي ولكن الاله هو انه في الحالتين اصبحت الناتج في



أوراق في التنمية الاقتصادية

النهاية شيء من صنع الجماعة لا من صنع الفرد الواحد فنحن هنا امام واحد من وضعين: اما تجميع بسيط لمنتجات جزئية مثل الساعة او امام سلسلة من العمليات المترابطة في ورشة واحدة مثل الابرة في كل عملية منها يقدم كل صانع من الصانع مادة اولية لغيره ،كل صانع ينتج كمية معينة في وقت معين ومن ثم يتحقق الاستمرار والانتظام والتكامل والكثافة في العمل ويصبح العمل بذلك هو العمل الضروري اجتماعيا.

٧- لقد ظهرت الآلة في الصناعة اليدوية في مرحلة مبكرة مثل طواحين الغلال ومعامل الطباعة لكنها كانت عندئذ ثانوية بينما ظلت الآلة الاساسية في المجتمع اليدوي هي العمل الجماعي لمجمع الصناعة.

٨- ان الثورة في اسلوب الانتاج وهي التي بدأت في الصناعة اليدوية بقوة التي كان عليها ان تبدأ الآن من ادوات العمل وكل تركيب آلي متطور يتألف في الواقع من ثلاثة اجزاء من المحرك ومن ناقل الحركة ومن الاداة او الآلة.

٩- لقد بدأت الثورة الصناعية في القرن الثامن عشر بالآلة حيث انتقلت الاداة من الانسان الى الآلة فأصبحت تدار بواسطة الآلة لكن تحت اشراف الانسان الذي ما زال الاساس.

١٠- هكذا قامت الصناعة الآلية التي احدثت ثورة هائلة في اسلوب الانتاج زادت انتاجية العمل زيادة هائلة بفضل تعاون العاملين وتقسيم العمل فيما بينهم داخل المصنع.

١١- ان التمييز بين الاشكال النافعة من العمل ينمو ويتطور ليصبح نظاما معقدا من التقسيم الاجتماعي للعمل. ا- فمن جانب بالانتقال الى الصناعة الآلية تنتقل مهارة العامل في استعمال الادوات الى الآلة نفسها مما يقضي على الاساس الفني الذي كان يرتكز عليه تقسيم العمل في ظل الصناعة اليدوية وهو المهارة اليدوية الذاتية. ب- ومن جانب اخر بالانتقال الى الصناعة الآلية وتحول المنتجات الى سلع يتم استكمال عملية انفصال قيمة الاستعمال عن قيمة المبادلة في السلع وتنتج المنتجات الاستهلاكية مباشرة ولكن لمبادلتها وهذا الانفصال الذي بدأ قديما جدا في صورة المقايضة لا يلبث ان يسود باستخدام النقود وتكوين السوق الداخلية.

١٢- نحن نعني بنشأة الرأسمالية مجموع العمليات التاريخية التي افضت الى سيادة نظام اقتصاد السوق فما السوق سوى مقولة من مقولات الاقتصاد السلعي الذي يتحول في مجرى نموه الى اقتصاد رأسمالي حيث تسيطر السوق الداخلية على مجموع الاقتصاد القومي.



أوراق في التنمية الاقتصادية

١٣- لقد جرى تطوير التقسيم الاجتماعي للعمل في واقع الامر بفضل نمو وسيطرة راس المال على عملية الانتاج وتحول الانتاج السلعي من انتاج بسيط الى انتاج رأسمالي ومعنى ذلك ان المنتج في الانتاج السلعي البسيط مالك يملك وسائل الانتاج التي يعمل بها اما المنتج في الانتاج السلعي الرأسمالي فهو لا يملكها انما هو عامل عليها.

فكيف جرى ذلك التحول؟

ان الفائض من المنتجات الزراعية او الحرفية الذي أمكن الابقاء عليه بعد الاستهلاك صار موضوعا للمبادلة بواسطة التجار ومن ثم بدأت الثروة النقدية في ايديهم تكتسب صفة راس المال.

١٤- لذلك ومن اجل ان يبدا التراكم الرأسمالي كان لابد من مرحلة اولية لتراكم النقود هي مرحلة التراكم البدائي لراس المال والمهم الان ان راس المال التجاري قد لعب دورا حاسما في هذا التحول فقد سعى من جانبه للسيطرة على الانتاج بهدف تحسين عملية الانتاج نفسها ليزيد من ربح راس المال التجاري وتحويل الانتاج ليكون في خدمة اسواق اوسع تحقق ربحا أكبر ولقد تم ذلك بصور متعددة كان اهمها تحول التاجر نفسه الى رأسمالي صناعي في الحرف المنتجة للسلع الكمالية وتحول المنتج الى تاجر رأسمالي.

١٥- ان النمو المضطرد للتقسيم الاجتماعي للعمل هو العامل الرئيسي في عملية النمو الرأسمالي التي تتخذ صورة نمو الاقتصاد السلعي وتحوله الى اقتصاد رأسمالي.

١٦- بتحول الاقتصاد السلعي الى اقتصاد رأسمالي تتكون السوق الداخلية فعندما يصبح الاساس في المجتمع هو الانتاج السلعي في أرقى اشكاله في شكله المطلق هو الانتاج الرأسمالي فإن المنتجات تصبح سلعا اي قيم استعمال ذات قيم مبادلة ويكون المطلوب هو تحويلها الى نقود في السوق.

١٧- وهكذا فإن راس المال سرعان ما يخلق لنفسه سوقا داخلية. هذه السوق ثمرة من ثمار الانتاج السلعي وهي تعتبر مقياسا طبيعيا لمدى نمو الانتاج بل ان العلاقة متبادلة بين نطاق الانتاج السلعي وبين السوق فكلما اتسعت السوق كلما كفلت مجالا اوسع لتطوير القوى المنتجة.

١٨- ان سيادة الانتاج السلعي تعني تصفية الاسواق المفتتة الضيقة لحساب السوق الموحدة الواسعة التي تكون اساسا بدورها لتطوير أكبر لفنون الانتاج وتنظيماته.



شبكة الاقتصاديين العراقيين

IRAQI ECONOMISTS NETWORK
www.iraqieconomists.net

أوراق في التنمية الاقتصادية

ان نمو السوق الداخلية لا يتم بفضل سلع الاستهلاك بقدر ما يتم بفضل وسائل الإنتاج.

١٩- ان السوق الداخلية تعبير عن الوحدة بين العرض والطلب وكما يتوقف نمو السوق على العرض المتزايد من الانتاج السلعي يتوقف ايضا على نمو الطلب على السلع.

٢٠- لقد كانت السوق الخارجية هي نقطة البدء في تطوير الانتاج السلعي في المرحلة الاولى من الرأسمالية حيث كان التصدير هو محرك النمو وقامت المدرسة التجارية على اساس زيادة الصادرات عن الواردات.

(* الدكتور فؤاد مرسي (1925-1990)

ليساس الحقوق من جامعة الاسكندرية عام ١٩٤٥

دكتوراه الدولة في الاقتصاد السياسي من جامعة باريس عام ١٩٥٩

أستاذ مساعد الاقتصاد السياسي بجامعة الإسكندرية حتى عام ١٩٥٩

رئيس شركة مصر لتجارة السيارات - قطاع عام حتى عام ١٩٧١

رئيس البنك الصناعي عام ١٩٧١

عضو مجلس إدارة البنك المركزي المصري حتى عام ١٩٧٢

وزير التموين والتجارة الداخلية ١٩٧٢-١٩٧٣

عضو مجلس الأمة ١٩٦٩-١٩٧١

تدور كتاباته حول العديدة حول النقود والبنوك والعلاقات الاقتصادية الدولية والتنمية الاقتصادية والتخطيط المالي وتخطيط التجارة الخارجية. نشر العديد من المقالات والكتب ومنها: مدخل إلى الاشتراكية، النقود والبنوك، الرأسمالية تجدد نفسها (وهو آخر كتاب له نشر سنة 1990).

(**) خبير اقتصادي سابق في غرفة تجارة بغداد

حقوق النشر محفوظة لشبكة الاقتصاديين العراقيين. يسمح بإعادة النشر بشرط الإشارة إلى المصدر. 21 ايلول /

سبتمبر 2018

<http://iraqieconomists.net/ar/>